رئاسة الجمهورية

القسم الصحفي

خطاب
السيد جاك شيراك
رئيس الجمهورية

جلسة افتتاح الورشة الثقافية
أوروبا – منطقة البحر المتوسط – الخليج

***

قصر الإليزيه

الأربعاء 13 سبتمبر / أيلول 2006

أصحاب السمو،
السيدة الرئيسة،
السيد نائب رئيس الوزراء،
سيدي الحاخام الكبير،
السادة والسيدات الوزراء والوزيرات،
سيداتي، سادتي،

كنت قد اقترحت، خلال قمة برشلونة، عقد لقاء يجمع بين المبدعين والمثقفين وأصحاب القرار من ضفتي البحر المتوسط ومنطقة الخليج، وذلك من أجل التباحث حول موضوع "حوار الحضارات". وإني سعيد اليوم لافتتاح هذه الورشة الثقافية معكم.

*

فما هو السبب وراء هذه المبادرة؟ لأننا مهددون بقطيعة بين الثقافات. الغرب في مواجهة الإسلام، العلمانيون في مواجهة المتدينون، الشمال في مواجهة الجنوب فجميع التصدعات التي يعرفها عالمنا توشك أن تتعمق وأن تتلاقى مخلّفة العواقب التي يخشاها الجميع.

منذ الحادي عشر سبتمبر/أيلول 2001، أي تحديداً قبل خمس سنوات، أحدث الخوف وعدم التفاهم ردود أفعال اتسمت بالانفعالية. تجسدت هذا الأمر من خلال أعمال الخلط غير المبررة التي أثارتها الاعتداءات الإرهابية المغضبة، وفي الآونة الأخيرة الحمية والعنف الذي اتسمت به ردود الأفعال من جراء نشر الصور الكاريكاتورية للرسول محمد.

إن تصاعد عدم التفاهم والتسامح له تأثير سلبي ينعكس بوجه خاص على الحيز المشترك الذي يربطنا. بات هذا الحيز، المتسم بتنوع موروثاته وديانـاته ومجتمعاته، مسرحاً لمواجهات تجسد عنفها مجدداً بصورة مأساوية في لبنان.

إن منطقة البحر المتوسط، ملتقى العديد من الشعوب والثقافات والأمم، ومهد الديانات السماوية والحضارة الغربية، منبع قيم الحرية والكرامة الإنسانية، كان يتعين لها أن تكون المكان المفضل المعبّر عن تضامننا. وفي الحقيقة، كان هناك زمان شكلت فيه ثقافاتنا حلقات وصل. فابن رشد كان يوقر أرسطو، معتبراً إياه "مبعوثاً من الله لإعلان الحقيقة"، وكان القديس توما الأكويني يرى في هذا العالم العبقري للعلوم العربية، "خير مفسر" للميراث اليوناني واللاتيني. بيد أن تاريخ كل أمة منا قد اتخذ مجرى مختلف. وأتت الصراعات القديمة والفتوحات الإسلامية والحروب الصليبية والمشروع الاستعماري لتحفر شقوق عميقة بيننا. وهكذا، وبالرغم من الأصول المشتركة والروابط التي لا حصر لها، باتت منطقة البحر المتوسط تتشكل من عوالم متجاورة، كل منها مغلق على الآخر. وأضحت أنماط حياتنا ومعتقداتنا وأنظمتنا الاجتماعية والقانونية ونماذجنا السياسية، أي كل ما يشكل الهوية، أمور تحدث تمييزاً فيما بيننا.

وأتت مآسي القرن العشرين لتفاقم من أشكال سوء الفهم والضغائن. فصراعات الشرق الأوسط، التي تتأجج كلها وتختلط مع بعضها البعض، لا تؤثر فقط بالسلب على حيزنا المشترك، بل باتت من الآن فصاعداً في قلب عدم استقرار العالم. إن هذه الصراعات تنشر آثارها المزعزعة للاستقرار في العالم بأسره، وهذا ما تعلمناه من درس الإرهاب القاسي. وتساهم أيضاً في بقاء الشعور بالظلم والاعتقاد بأن الهويات محتقرة وبأن القيم العالمية لا تُطبق بإنصاف وبأنها يمكن أن تكون ذريعة لإنكار تنوع الثقافات.

نحن مطالبون اليوم بالتحرك العاجل. يجب أن نبدد كل الأفكار المسبقة، والتخوفات والذكريات السيئة كي نستطيع أن نتلاقى وأن نتجاوز كل ما يتعارض فيما بيننا وأن نبني مستقبلا نتقاسمه جميعاً.

كانت هذه الفكرة إحدى طموحات شراكة برشلونة، بيد أن الثقافة بقيت هي الجانب المهمل في هذه الشراكة. وإذا ما كنا نريد أن نجعل من منطقة البحر المتوسط والخليج حلقة وصل سياسية وحيزاً للتضامن، وأن نتجنب خطر المواجهة التي لن تكون، في حال حدوثها، إلا صدام الجهل والحماقة والغطرسة، يتحتم علينا استعادة طريق الحوار بين الشعوب.

*

يجب أن نتحرك بسرعة وقوة. أن نتحرك على المستويين السياسي والدبلوماسي من أجل السلام. أن نتحرك عبر الحوار بين المجتمعات والثقافات. إن هاتان الوسيلتان للتحرك، الوسيلة السياسية والوسيلة الثقافية، إضافة إلى معالجة الأزمات وإجراء الحوار بين الثقافات، هي أمور يجب أن يتم تطبيقها بصورة متوازية.

تستدعي الأزمات الإقليمية الضمير العالمي. وإنني أريد أن أعيد التأكيد على الأمر التالي هنا أمامكم: إن الإجراءات الأحادية الجانب واللجوء إلى القوة لا يمكن أن تأتي بأي حل. فالشعوب ترفض الحلول المفروضة، التي تعزز مشاعر الحقد والتي تحمل في طياتها صراعات مستقبلية. إن المعالجة السياسية والتفاوضية للصراعات، التي يشارك فيها مجموع الفاعلين بدعم من المجتمع الدولي وتحت ضمانته، هي الأمر الوحيد الذي يمكن أن يؤتي بحلول دائمة. يكمن الأمر في توفير المزيد من الأمن للشعوب، ولكن أيضاً العدل والتضامن، لأنها أمور لا تنفصل عن بعضها البعض.

ينطبق هذا الأمر أولا على الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني، الذي يشغل قلب ذلك الشعور العميق بالكبت والحرمان لدى الشعوب العربية والإسلامية. فالسلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين يعني دولتين تعيشان جنبا إلى جنب في حدود قابلة للعيش و ومعترف بها دوليا وتحظى بضمانات دولية. والأمر نفسه ينطبق على التمزق المتعدد الأشكال الذي يشهده العراق ولبنان، وكذلك التوترات التي تعرفها منطقة الخليج.

لن نحل أي شئ باللجوء إلى القوة. ولن نتمكن من تهدئة الأوضاع باللجوء إلى الكاريكاتير أو التهميش. إن تمثيل الغرب كشيطان من جهة، والتشكك تجاه الإسلام من جهة أخرى، الذي يمثله البعض على أنه مناوئ للحداثة، وهي كلها أفكار مسبقة خطيرة ينبغي محاربتها من خلال جهد مشترك. وفي مواجهة الفكر الصليبي، المبني على الجهل والتبشير الديني المجاهد، المستوحى من نظرة استبدادية للإنسانية، علينا أن نزّكي روح الحوار المبني على المعرفة والتسامح والرغبة في الانفتاح.

ولنجري هذا الحوار بصفتنا شركاء نحترم بعضنا البعض، واعون بالانتماء لعوالم مختلفة، ولكن متساوون في الكرامة، شركاء ما يزال هناك الكثير لنتعلمه من بعضنا البعض وأن نتعاون لمواجهة التحديات المشتركة. إن العالمية لا يمكن أن تكون حكراً لأي شعب. وعلينا أن لا ننسى أن مصيرنا المشترك يتجلى عندما نذهب إلى ما هو أبعد من اختلافاتنا.

ولكوننا نشكل جميعاً إنسانية واحدة، فنحن نحترم قيم عالمية لا يسمح أي استثناء ثقافي بخرقها. فالنزعة الإنسانية تستمد جذورها من أصول ديانات الكتاب الثلاثة التي تعلي كلها من كرامة الإنسان. وإذا كانت هذه القيم مطلقة، فإن طريقة معايشتها هي التي تبرز الفروق التي تعبر عنها هوياتنا.

إذا ما أردنا أن نعمل معا، فيجب أن يمثل هذا التنوع الثقافي والاجتماعي والديني نقطة انطلاقنا. فجميع المجتمعات لا تتقدم بنفس الخطوة. فكل منها يجب أن تتجه نحو الديموقراطية واحترام حقوق الإنسان، لكن متبعةً درباً يتفق وخصائص شعبها. والنماذج الأجنبية تعد مصدر وحي لا يقدّر بثمن، مصدراً يشدد العزم ويقدم الدعم في هذه المعركة الدائرة لصالح الكرامة الإنسانية، أما التدخلات والأوامر الأجنبية فهي تضعف الأسباب التي تدافع عنها وتفسدها.

*

يأتي مؤتمركم هذا متسقاً مع العمل التي أُنجز تحت رعاية أمين عام الأمم المتحدة و متطابقاً مع الفكرة التي نادى بها رئيسي الوزراء السيد زاباتيرو والسيد إردوغان بباء حلف الحضارات. إن هذا المؤتمر هو نقطة البداية لمبادلات ستحشد جهودكم على مدى عدة أشهر في كل من باريس واشبيلية والإسكندرية.

يرجع لكم الأمر لمساعدتنا كي نتعرف على بعضنا البعض بصورة أقرب، و نتفاهم على نحو أفضل ونتعاون بشكل أفضل لمواجهة التحديات المشتركة.

ستطمح ورشتكم أيضاً في إعداد مشاريع يمكن أن تنفذها الدول والمؤسسات الإقليمية والدولية والفاعلين الثقافيين ووسائل الإعلام المرئية والسمعية، والقائمين على التغيير الاجتماعي. كان هناك بعض من هذه المشاريع سبق طرحه خلال أعمالكم التحضيرية. يستدعيني في هذا المقام المشروع الذي يعكف المؤرخون على تنفيذه بصدد الكتب الدراسية

في مادة التاريخ، وكذلك مشروع إنتاج مشترك للصور تنقلها كبريات وسائل الإعلام المرئية والسمعية في الشمال والجنوب.

وأقترح عليكم ثلاث مشاريع أخرى: التعاون في مجال تقنين النصوص التشريعية وإصلاح المجال الحقوقي؛ تطبيق برامج "إراسموس" Erasmus في منطقة البحر المتوسط للتقريب بين شبابنا –ويمكن الاستلهام من الفيلسوف ابن رشد فيما يتعلق بتطبيق هذا البرنامج؛ وإصدار ميثاق للحوار بين الثقافات يحدد قواعد التعايش في إطار العولمة.

*

سيداتي، سادتي،

يكمن رهان ورشتكم في إعادة الثقة إلى عالم مهدد بالخوف والكراهية. ولأنها باتت بؤرة أشكال عدم الفهم بين الشعوب، يقع الأمر على عاتق منطقة البحر كي تحمل الأمل بعالم يقبل فيه أفراده المتحلين بمزيد بالثقة بالنفس وجه وصوت الآخر على اختلافه.

أشكركم.